من هو القوصوني

Le Qûsûny.

اطالع هذه الايام مجموعة خطية حوت كتبا طبية . وهي المجموعة المذكورة في كتابي (مخطوطات الموصل صفحة ٢٣٧ عدد ١٧٥) . من جملة ما في هذه المجموعة كتاب (كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة) يليه (مقالة في الحمام) . كتب تحت عنوان كمال الفرحة انه للامام العالم العلامة «شمس الدين محمد القوصوني الطبيب » وهو في ٤٠ صفحة متوسطة . كتابتها وسطورها مرصوصة كأغلب الكتب التي في هذه المجموعة . جاء في المقدمة انه كتب لقانصوه الغوري . اول الكتاب : « الحمد لله الملك الحليم المدبر الحكيم ذي القوة والسلطان الدائم الباقي وكل من عليها فان ... الخ » .

وكتب تحت عنوان (مقالة الحمام) انه لسيد الحكماء العظام واوحد الفقهاء الاعلام العالم العامل الحبر البحر الكامل سيدنا الشيخ (بدر الدين محمد القوصوني الحنفي) .

ورد ذكر محمد القوصوني الطبيب وتأليفه كمال الفرحة في تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣ : ٢٥٠) حيث قيل : « محمد القوصوي الطبيب الفلابي النصر قنصوه الغوري كتاب كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة باشارة منه وفيه تفاصيل مفيدة عن معالجة السموم . بعضها لم يأت العلم الحديث باحسن منها . منه نسخة في المكتبة الخديوية في جملة كتب زكي باشا في ٢٤٦ ص) اه .

فيرى ان جرجي زيدان سماه (القوصوي) ولكن في المجموعة التي ابحث عنها جاءت نسبته في كتابه ونسبة ابنه بدر الدين محمد في مقالته في الحمام (القوصوني) بنون قبل ياء النسبة في اربعة اماكن واضحة .

اما الباعث الى كتابة هذه المقالة فهو اولا بيان ان من اشتهر بالقوصوني اثنان شمس الدين محمد وابنه بدر الدين محمد . ثانيا بيان ان النسبة قوصوني كما جاء في هذه المجموعة لا قوصوي كما جاء في كتاب جرجي زيدان . ثالثا تصحيح

الغلط الوارد في كتابي (مخطوطات الموصل) اذ نسبت كتاب كمال الفرحة ومقالة الحمام كليهما لشمس الدين محمد القوصوني . والصحيح ان مقالة الحمام هي لابنه بدر الدين محمد . ومنشا الغلط كون الاب والابن سميا محمدا (١) ورايما لاعرف من هو القوصوني .

اما القوصوني الوالد شمس الدين محمد فلم اعثر على شيء من ترجمته سوى ما جاء ذكره في كتابه كمال الفرحة انه كان طبيبا معاصرا لقانصوه الغوري . واما القوصوني الولد بدر الدين محمد فقد كتب احدهم ترجمته تحت عنوان مقالته في الحمام في المجموعة المذكورة ولاهمية هذه الترجمة وعدم وجود غيرها على ما اظن ولوجود فوائد تاريخية فيها انقلها هنا حرفيا . ولكن مما يوجب الاسف ان المترجم [بكسر الجيم] بقي مجهولا لانه لم يذكر اسمه . اما خطه فنسخي عليه مسحة من خط التعليق فهو يمد بعض الحروف كالنون والياء الى تحت وهو مخالف لخط المجموعة . وهذه صورة الترجمة :

« مؤلف هذا الكتاب هو صاحبنا وصديقنا الشيخ بدر الدين محمد بن محمد القوصوني الحنفي رئيس الحكماء في باب السلطان . ولد سنة عشرين وتسعمائة وكان ذكيا حاذقا فاضلا كاملا متفننا انتهت اليه رئاسة الطب مع المشاركة التامة في غيره من العلوم فائقا في الادب والنظم والنثر . له فيهما اليد الطولى . اجتمعت به في مصر في رحلاتي اليها . وبيني وبينه مراسلات وملاطفات نظما ونثرا . ذكرت طرفا منها في تذكرتي . ثم طلبه السلطان سليمان بن سليم خان سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان . فقدم عليه في عام خمس (كذا) وخمسين وتسعمائة لان يعالجه من النقرس . فظهر منه في علاجه اليد البيضاء ولاطفه احسن ملاطفة الى ان اختص به جدا وعزل لاجله هامون زاده اليهودي [كذا في الاصل ولعل كلمة هامون اصلها هارون . اتصلت فيها الراء بالواو من العجلة بالخط

١) عادة تسمية الابن باسم الاب شائعة حتى الآن عند بعض الناس . وذلك اذا توفي الاب وكانت الام حاملا ثم ولدت ابناً فانها ربما سمته باسم ابيه تسلية وكأنما قام مقامه . وهذه العادة اكثر ما يكون انتشارها في الاناضول فحكم رأينا بين الجنود في الجيش العثماني من يدعى مثلا (محمد اوغلي محمد) اي محمد بن محمد .

فصارت تقرأ هامون (١)] وابعده عن بابه وولى الشيخ بدر الدين رئيس [كذا . والصحيح رئاسة] الحكماء . وعظمت مرتبته عند السلطان جدا وصار لايصبر عنه ساعة واحدة ولا يتناول شيئا إلّا بعد العرض عليه . ومع ذلك فكان بخيلا بجاهه جدا رحمه الله تعالى . واجتمعت به في رحلتي الثانية الى اصطنبول سنة خمس وستين وتسعمائة فرأيته في عظمة كبيرة . ومع ذلك فجاءني عندقدومي. واستعظم الناس ذلك لعلو مقامه على الوزراء فمن دونهم . واحسن الي وجابرني وكان متضجرا من منصبه يود الخلاص منه . وسأل في الحج مرارا فلم يؤذن له فلما توفي السلطان سليمان رحمه الله تعالىعظمه السلطان سليم كتعظيم والده . وكان جليل القدر علي الشأن . له تذكرة لطيفة ورسائل منها رسالة الحمام ومنها طبقات حافلة كتبها ذيلا (٢) على طبقات ابن ابي اصيبعة . وكنت جمعت جانبا من تراجم الاطباء المتأخرين عرضته عليه فاعجبه واضافه الى ما كتبه . وكان حج مع عمه في صحبة سليمان باشا الوزير وقبل ذلك في ما اظن . وبلغنا انه توفي باصطنبول في سنة ست وسبعين وتسعمائة . رحمه الله تعالى ورحمنا اذا صرنا مصيره » اه .

قرأت هذين الكتابين للقوصونيين (كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة (ومقالة في الحمام) فوجدت الاول لا بأس به يبحث عن حفظ الصحة وتقوية [الصلب] والتحفظ من السموم والتخليص منها . فكأن المؤلف رحمهالله سعى لحفظ صحة سيده قانصوه الغوري وتقوية [عضوه] وحفظ حياته من الاغتيال بالسموم .

واما مقالة الحمام فوجدتها من خير ما كتب في هـذا الباب . ألفت لابي الحسن البكري . فقد جاء في صدر الرسالة بعد الحمدلة والصلولة : « وبعده فهذه مقالة لطيفة في الكلام على الحمام ومنافعه وكيفية استعماله للصحيح والمريض وتدارك الخطأ الواقع في استعماله . الفتها باشارة شيخ المسلمين ووارث علوم الانبياء والمرسلين قطب دائرة العالم ورحمة الله المنزلة على بني آدم العالم الرباني والمحقق الصمداني ابي الحسن البكري الصديقي سبط ابي الحسن فسح الله تعالى

١) (ل . ع : كلا العلم قديم في العبرية ومعناه عطارد)

٢) ليت شعري اين جي هذا الاثر النفيس ؟

في مدته ... »

الموصل الدكتور داود الجلبي

(ل . ع) الذي ساق جرجي زيدان الى الوهم قول صاحب كشف الظنون في ١ : ٤٩١ من طبعة الاستانة : دستور البيمارستان للعلامة ابن القوصوي . ذكر فيه الامراض والعلاج وانها من غلبة خلط من اخلاط الاربعة (كذا) اه. والصواب ابن القوصوني . كما حققه حضرة صديقنا المدقق وزيد على ما تقدم بسطه ان هذا الاسم جاء بصور مختلفة في الكتب الخطية . وقد لاحظ ذلك طابع كشف الظنون ومترجمه الى اللاتينية العلامة غستاف فلوجل وهو اول من بعثه من مدفنه الى عالم الظهور وذلك في سنة ١٨٣٥ وعنه طبعت نسخة بولاق فنسخة الاستانة وكلتاهما مشحونة غلطا ووهما. وقد قال فلوجل : ان بدر الدين محمد بن محمد يعرف بالقوصوني وابن القوصوني وقوصوني زاده (راجع ٧ : ١٠٤٩) وقيسوني زاده وقيسوم زاده (٧ : ٩٤٢) قلنا . ولعل كلا من الولد والوالد يعرف بهذا النسب . ولم نجد معنى لهذه النسبة في اي كتاب كان . وعلى كل حال فهي ليست منسوبة الى مدينة قوصوة Kossovo في يوغوصلافية في بلاد الصرب القديمة كما يتبادر الذهن اليه لاول مرة ولا الى قوص من ديار مصر .

قدم اسم مندلي

افادنا حضرة صديقنا المحقق المدقق يعقوب افندي نعوم سركيس ان اسم « مندلي » بهذه الصورة ورد في كتاب في الانساب اسمه صباح الاخبار وهو مطبوع في مصر سنة ١٣٠٦ وكانت وفاة مؤلفه في سنة ٨٨٥ هـ

وذكر لنا ان مانعا الذي ورد اسمه في ٨ : ٤٠ من هذه المجلة والذي قيل عنه انه امير قشعم هو على مايظهر شيخ المنتفق وليس امير قشعم والذي روى انه امير قشعم هو العمري صاحب غاية المرام وعنه نقل الكتبة هذا الوهم . فنشكره على هذه التحقيقات .

عمر الاستاذ جبر ضومط

تحققنا ان الاستاذ جبر ضومط ولد في صافيتا في ٢٦ ايلول ١٨٢٩ وتوفي في بيروت في ١٨ ك ٢ سنة ١٩٣٠ رحمه الله